الفصل الثاني في ذكر الأوصاف

قوله : « سـألت خالي هند بن أبي هالة » هوهند بن أبي هالة الأسدي التميمي ، ربيب رسول الله ﷺ ، أمُّه خديجة بنت خويلد ، خلف عليها رسول الله ﷺ بعد أبي هالة ، واختلف في اسم أبي هالة ، فقيل : نبَّاشُ بن زرارة بن وقدان بن حبيب بن سلامة بن عدي ، وقيل : غزي بن جروة بن أسيد بن عمرو بن تميم حليف بني عبد الدار بن قصي . وقيل : زرارة بن نباش ، وقيل : مالك بن نباش بن زرارة قتل هند بن أبي هالة مع علي بن أبي طالب يوم الجمل ، وقتل ابنه هند ، ابن هند مع مصعب بن الزبير يوم المختار ، وقيل : إن هند بن هند توفي بالبصرة .

كان هند بن أبي هالة فصيحاً بليغاً وصافاً ، قاله ابن عبد البر وقال : وصفَ رسولَ الله ﷺ فأحسن وأتقن ، وقد شرح أبو عبيد وابن قتيبة وصفه لذلك لما فيه من الفصاحة وفوائد اللغة .

قوله : « عن حِلْيةِ رسولِ الله ﷺ » ، بكسر الحاء المهملة ، أي وصفه ، حلية الرجل : وصفه .

وقوله : كان فَخْماً مُفخماً ، أي : فَخْماً في نفسه ، مُفخَّماً في أعين

الناس ، يقال : رجل فخم بكسر الخاء المعجمة ، أي عظيم القدر ، وفَخُم الرجل فخامة ، أي : ضخم ، والتفخيم : التعظيم .

وقوله : « يتلألأ وجهه » أي : يلمع ، ولألأ البرق : إذا لمع .

وقوله : « تلألأ القمر ليلة البدر » أي : مثل تلألئه ، وفيه إشارة إلى أن إشراقه بالمعارف كان مستفاداً من فيض أنوار الحضرة القدسية عليه لمقابلته لها ، وإقباله عليها ، فإن البدر يشرق بما يفيض عليه من نور الشمس عند مقابلته لها . هذا مختصر قول أبي عبد الله الحكيم[1] .

وقوله : « أطول من المربوع ، وأقصر من المشذب » ، أي : معتدل الطول ، والمشذَّب بفتح الذال المعجمة : البائن الطول في نحافة ، مأخوذ من الشذَبة بالتحريك ، وهو مايقطع مما يتفرق من أغصان الشجرة .

قال الكميت :

بَلْ أَنْتَ في ضِئْضِئِ النُّضارِ من النَّبْعَةِ إِذْ حَظُّ غيرك الشَّذَبُ

وقوله : « عظيم الهامة » أي : الرأس ، والهامة بالتخفيف : الرأس ، والجمع هام .

وقوله : « رَجِلُ الشعر » يقال : شعر رَجْلٌ وَرِجلٌ : إذا لم يكن شديد الجعودة ، كأنه مُشْط متكسِّر قليلاً .

وقوله : « إن انفرقت عقيقته فرق » ، أي : شعره ، والعقيقة : شعر الرأس .

والوفرة بسكون الفاء : الشعر إلى شحمة الأذن .

(١) هو محمد بن علي بن الحسن بن بشر ، أبو عبد الله الحكيم الترمذي ، المتوفى سنة ٣٢٠/هـ ، وهو غير الترمذي صاحب السنن .

ثمَّ الجُمة : بضم الجيم .
ثم اللِّمة بكسر اللام : وهي التي ألمت بالمنكبين .

وقوله : « أزهر اللون » ، هو الأبيض المستنير ، والزهرة : البياض النَيِّر ، وهو أحسن الألوان .

وقوله : « واسع الجبين » : الجبين فوق الصدغ ، وهما جبينان عن يمين الجبهة وشمالها ، والجبهة : هي المستوى بينهما ، ويسمى المسجد .

وقوله : « أزجَّ الحواجب » الزَّجَجُ : قوس في الحاجب مع طول في طرفه وامتداده ، قاله في « النهاية » وهما حاجبان ، فإذا جمعا ، قيل : حواجب ، لأن لكل منهما طرفين مقدَّماً ومؤخَّراً ، أو وضع الحواجب وضع الحاجبين ، لأن التثنية جمع .

وقوله : « سوابغ من غير قرن » ، القرَن بالتحريك : التقاء الحاجبين ، وهذا خلاف ماروت أم معبد ، فإنها قالت في صفته : « أزج أقرن » ، أي : مقرون الحاجبين ، قال في « النهاية » :
والأول أصح . أقول : ويمكن الجمع بينهما بأن يكون القرن خفيفاً جداً لا يظهر إلا بشدة التأمل كما يشاهد لكثير من الناس ، وسوابغ : حال من المجرور وهو الحواجب ، أي : إنها دقت في حال سبوغها .

وقوله : « بينهما عرق يدرّه الغضب ؟ » أي : يمتلئ دماً إذا غضب كما يمتلئ الضرع لبناً إذا درَّ .

وقوله : « أقنى العِرْنين » ، القنا بالقاف والنون في الأنف : طوله ودقة أرنبته مع حَدَب في وسطه ، والعِرْنين : الأنف .

وقوله : « يحسبه من لم يتأمله أشم » الشَّممُ : ارتفاع قصبة الأنف واستواء أعلاها وإشراف الأرنبة قليلاً .

وقوله : « كث اللحية » الكثاثة في اللحية : أن تكون غير دقيقة ولا طويلة وفيها كثافة ، يقال : رجل كث اللحية بالفتح ، وقوم كث بالضم .

وقوله : « أدعج » الدَّعَج والدُّعْجة : السواد في العين وغيرها ، وقيل : الدَّعَج شِدَّة سواد العين في شِدَّة بياضها .

وقوله :سهل الخدين ، أي : سائِل الخدين غير مرتفع الوَجْنَتَيْن .

وقوله : ضليع الفم ، أي عظميه ، وقيل : واسعه ، والعرب تحمد عظم الفم وتذم صغره ، والضليع : العظيم الخلق الشديد .

وقوله : « أشنب » الشَّنَبُ : البياض والبريق والتَّحْدِيد في الأسنان كما يوجد في أسنان الشباب .

وقوله : « مفلّج الأسنان » الفلجُ بالفاء والجيم : فُرْجة ما بين الثنايا والرَّبَاعيات ، والفَرَقُ بين الثَّنِيَّتَيْنِ .

وقوله : « دقيق المسرُبة » . بفتح الميم وسكون السين المهملة وضم الراء : هو الشعر المستدق الذي يأخذ من الصدر إلى السرة .

وقوله : «كأنَّ عنقه جيدُ دُمْيَة » الدُّمْية بضم الدال وسكون الميم وفتح الياء والمثناه تحت ، قيل : إنها الصورة المصورة ، وجمعها دُمى ، لأنها يتُنوَّق في صنعتها ويُبالغ في تحسينها .

وقوله : « معتدل الخلق » أي : متناسب الأعضاء ، والحسن عبارة عن تناسب الأعضاء .

وقوله : « بادناً متماسكاً » البادِن : الضخم ، ولم يكن رسول الله ﷺ سميناً ، فلما قال : بادناً ، أردفه بقوله : متماسكاً ، وهو الذي يمسك بعض أعضائه بعضاً ، فهو معتدل .

وقوله : « سواء البطن والصدر » أي مستويهما ، لم يكن أحدهما أعلى من الآخر فيشوش الخلقة .

وقوله : « بعيد ما بين المنكبين » المنكب : مجمع عظم العضد والكتف .

وقوله : « ضخم الكراديس » بالسين المهملة ،وهي رؤوس العظام ، واحدها كردوس ، وقيل : هي ملتقى كل عظمين ضخمين ، كالمرفقين والمنكبين ، أراد : أنه كال ضخم الأعضاء .

وقوله : « أنور المتجرد » ، أي : نَيِّرُ لَوْن الجسم ، يقال للحسن المشرق اللون : أنور ، هو أفعل من النور ، يقال : نار فهو نَيِّر ، ونار فهو منير .

وقوله : « موصول مابين اللبة والسُّرة » ، اللبة : هي الهزْمَةُ التي فوق الصدر ، وفيها تنحرُ الإبل ، قاله في « النهاية » . وقال الجوهري : واللَّبَّةُ : المنحر ، والجمع : اللبَّاتُ ، كذلك اللَّبِبُ ، وهو موضع القلادة من الصدر من كل شيء .

وقوله : « شعر الذراعين والمنكبين » أي : هما ذو شعر ، كما يقال : أشعر أبناء جِلدَتِه ، أي : شاعرهم .

وقوله : « طويل الزندين » هما عظما الذراعين .

وقوله : « رحب الراحة » ، واسعها وهي الكف ، وجمعها : راح ، وقد يكنى بسعتها عن سعة العطاء وكثرته .

وقوله : « شثن الكفين » بالشين المعجمة ثم المثلثة ، ثم النون ، أي : إنهما يميلان إلى الغلظ والقصر ، وقيل : هو الذي في أنامله غلظ بلا قصر ، ويحمد ذلك في الرجال ، لأنه أشد لقبضهم ، ويذم في النساء .

وقوله : « سائل الأطراف » بالمثناة تحت ، أي : ممتدها ، ورواه بعضهم بالنون عوض اللام ، وهو بمعناه : جبريل وجبرين .

وقوله : « خمصـان الأخمصـين » الأخمص من القدم : الموضع الذي لا يلصق بالأرض منها عند الوطء ، والخمصان : المبالغ منه ، أي : إن ذلك الموضع من أسفل قدمه شديد التجافي عن الأرض . وسئل ابن الأعرابي عنه فقال : إذا خمص الأخمص بقدر لم يرتفع جداً ولم يستو أسفل القدم جداً ، فهو أحسن ما يكون ، وإذا استوى أو ارتفع جداً ، فهو ذم ، فيكون المعنى : أن أخمصه معتدل الخمص ، بخلاف الأول .

وقوله : « مسيح القدمين » ، أي : مَلساوَانِ لَيِّنتانِ ليس فيهما تَكسُّرٌ ولا شِقاق ، فإذا أصابهما الماء نبا عنهما .

وقوله : « إذا زال زال قلعاً » ، يروى بالفتح والضم ، فبالفتح هو مصدر بمعنى الفاعل ، أي : يزول قالعاً لرجله من الأرض ، وبالضم هو إما مصدر أو اسم ، وهـو بمعـنى الفتح . وعن الهروي قـال : قرأت على الحرف في كتـاب « غريب الحديث » لابن الأنبـاري : قَلعـاً بفتح القاف وكسر اللام ، وكذلك قرأته بخط الأزهري ، وهو كما جاء في حديث آخر : كأنما ينحطُّ من صبب ، والانحدار من الصبب ، والتقلُّع من الأرض ، قريب بعضه من بعض ، أراد : أنه كان يستعمل التثبت ولا يبين منه في هذه الحال استعجال ومبادرة شديدة .

وأما قوله في حديث آخر : « إذا مشى تقلَّع » أي : قوة مشية ، كأنه يرفع رجليه من الأرض رفعاً قوياً ، لا كمن يمشي اختيالاً ، ويقارب خطاه ، فإن ذلك من مشي النساء ويوصفن به .

وقوله : « كأنما ينحطُّ من صبب » ، أي : في موضع منحدر .

وفي رواية : « كأنما يهوي من صبوب » ، يروى بالفتح والضم ، فالفتح : اسم لما يصب من الإنسان من ماء وغيره كالطهور ، والضم جمع صبب ، وقيل : الصَّببُ والصَّبُوب : تَصوُّبُ نهرٍ أو طريق .

وقوله : « إذا التفت التفت جميعاً » ، أراد : أنه لا يسارق النظر ، وقيل : أراد : لا يلوي عنقه يَمنة ويَسرة إذا نظر إلى الشيء ، وإنما يفعل ذلك الطائش الخفيف ، ولكن كان يقبل جميعاً ويدبر جميعاً .

وقوله : « خافض الطرف » خفض الطرف : غضُّهُ ، والخفض ضد الرفع ، وخفض الطرف أجمع للحواس ، ولهذا استحب للمصلي أن ينظر في قيامه إلى موضع سجوده ، وفي ركوعه إلى قدميه .

وقوله : « جل نظره الملاحظة » ، هي مفاعلة من اللحظ ، وهو النظر بشق العين الذي يلي الصدغ ، وأما الذي يلي الأنف ، فالموق والماق .

وقوله : « يسوق أصحابه » ، أي : يقدِّمهم أمامه ويمشي خلفهم تواضعاً ، ولا يَدَع أحداً يمشي خلفه .

وقوله : « كان متواصل الأحزان » ، أي لاهتمامه بأمر الدين والآخرة ، والإقبال على أحوال الإنسان بعد الموت . قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هُو نَبأ عَظِيم أَنتُم عَنهُ مُعْرِضُون ﴾ [ص : ٦٧] والفكرة : التأمل ، والاسم : الفكر والفكرة ، والمصدر : الفكر بالفتح ، والهاء فيه للمبالغة « كالهاء في (دين القيمة) و(خليفة) .

وقوله : « يفتتح الكلام ويختتمه بأشداقه » ، الأشداق : جوانب الفم ، وإنما يكون ذلك لرُحب شِدْقيه ، والعرب تمدح بذلك ، ورجل أشدق : بيِّن الشَّدْق ، فأما حديثه الآخر : أبغضكم إليَّ الثرثارون المتشدقون ، فهم المتوسعون في الكلام من غير احتياط واحتراز ، وقيل : أراد بالمتشدق : المستهزئ بالناس يلوي شدقيه بهم وعليهم .

وقوله : « ويتكلم بجوامع الكلم » ، أي : كلامه كثير المعاني قليل الألفاظ .

وقوله : « فصلاً » أي : بيِّن ظاهر ، يفصل بين الحق والباطل ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إنه لقول فصل ﴾ ، أي : فاصل قاطع .

وقوله : « دمثـاً » ، أراد : أنه كان لين الجانب في سهولة ، وأصـله من الدمث ، وهي الأرض السهلة الرخوة .

وقوله : « ليس بالجافي ولا المهين » ، أي : ليس بالغليظ الخلقة والطبع ، وليس الذي يجفو أصحابه ، والمهين ، يروى بضم الميم وفتحها فالضم على الفاعل من أهان ، أي : لا يهين من صحبه ، والفتح على المفعول من المهانة : الحقارة ، وهو مهين ، أي حقير .

وقوله : « يعظم النعمة وإن دقت » ، أي : وإن صغرت سواء كانت من نعم الله تعالى عليه أو من صنيع الناس ، فطبيعي للمنعم عليه أن يرى صغير النعم عظيماً ، وللمنعم بالعكس ، قال :

زاد معـــروفك عنـــدي كرمـــاً
أنَّـــه عنـــدك مستـــورٌ حقـير
وتنـــاســـيت كأن لم تـــأتـــه
وهـو عنـد الله مشـكـور كبـير

وقوله : « لم يذم ذواقاً » الذواق : المأكول والمشروب ، فعال بمعنى مفعول ، من الذوق يقع على المصدر والاسم ، يقال : ذقت الشيء أذوقه ذوقاً وذواقاً ، وما ذقت ذواقاً ، أي : شيئاً .

وقوله : « فإذا غضب أعرض وأشاح » بالشين المعجمة والحاء المهملة ، قال الجوهري : وأشـاح بوجهـه : أعرض ، وعلى هذا فإنما جاز العطف لاختـلاف اللفظ ، وقيل : معناه : مالَ وانقبضَ .

وقوله : «جُلَّ ضحكه التبسُّم» ، أي : معظمه ، وجلُّ كل شيءٍ بالضم: معظمه .

وقوله : « يفتر عن مثل حب الغمام » ، يعني : البرد ، شبه به ثغره في بياضه وصفائه وبرده .

وقوله : « ووجدته قد سأل أباه » ــ يعني علي بن أبي طالب ــ ، وقد اجتمع في رواية الحسن عن أخيه عدة نكت .

منها : أنه اجتمع فيه رواية ثلاثة من الصحابة بعضهم عن بعض ، ورواية أخوين أحدهما عن الآخر ، عن أبيهما .

ومنها : أنه من قبيل رواية الأكابر عن الأصاغر ، فإنَّ الحسن أكبر من الحسين .

ومنها : أنه رواية ثلاثة من ولد أبي طالب بعضهم عن بعض .

ومنها : أنه رواية ثلاثة من الأئمة بعضهم عن بعض ، فإن الحسين رضي الله عنه طلبه أهل الكوفة وأعطوه عهودهم بالإمامة .

ومنها : أن رجال سنده أشرف الرجال نسباً ، الحسن والحسين ، أبوهما أول هاشمي ولد بين هاشميين ، وأمهما سيدة نساء العالمين ، وجدهما سيد الخلق أجمعين ، وجدتهما سيدة النساء كافة بعد مريم ، وعمهما جعفر ذو الجناحين ، وعم أبيهما سيد الشهداء ، وخالهما إبراهيم بن رسول الله ﷺ ، له ظئر يتمم رضاعه في الجنة .

ومنها : أنهم ثلاثة ماتوا شهداء كلهم : علي والحسين كما علم ، والحسن مات مسموماً .

ومنها : أنه رواية ثلاثة من أهل البيت بعضهم عن بعض .

وقوله : « كان دخوله لنفسه مأذوناً له فيه » ، إما من الاستئذان المشروع إذا أراد الرجل أن يدخل ، وإما من أذن الله تعالى له في دخوله ، وأنه كان لا يدخل إلا بإذن من الله تعالى .

وقوله : « جزأ دخوله ثلاثة أجزاء » ، أي جزأ الزمان الذي يكون فيه في بيت نفسه ثلاثة أجزاء ، والجزء : النصيب والقطعة من الشيء ، وجزأت الشيء : قسمته ، وهذه الأجزاء الثلاثة أربعة في الحقيقة ، لأن الجزء الذي لنفسه مقسوم بينه وبين الناس ، وذلك لأن الناس متقاربون في الفهم ، فلم يكن مجلسه العام يحتمل إلا الكلام الجلي ، وأما الأمور الكلية ، وقواعد الشريعة ، فكان رسول الله ﷺ ، يخص له الخاصة أهل الفهم خلوة في جزء نفسه ، ثم الخاصة بعد وهمها لها وإحكامها يرجع بها على العامة بطريق التعليم والتفهم ، لا بطريق الإلقاء دفعة واحدة ، فيفهم منها القاصر الفهم خلاف المعنى المقصود ، ويؤدي ذلك إلى خبط عظيم .

وقوله : « فمنهم ذو الحاجة » ، أي : ذو المسألة والمسألتين من المسائل الدينية .

وقوله : « يدخلون روَّاداً ويخرجون أدلة على الخير » ، أي : يدخلون عليه طالبين للعلم ، وملتمسين الحكم من عنده ، ويخرجون أدلة هداة للناس ، والرواد : جمع رائد ، مثل : زائر وزوار ، وأصله : الذي يتقدم القوم يبصر لهم الكلأ ومساقط الغيث ، وقد راد يرود رياداً .

وقوله : « ولا يتفرَّقون إلا عن ذوّاق » ضرب الذَّواقَ مثلاً لما ينالون عنده من الخير ، أي : لا يتفرقون إلا عن علم وأدب يتعلَّمونه ، يقوم لأنفسهم وأرواحهم مقام الطعام والشراب لأجسادهم .

وقوله : « من غير أن يطوي عن أحد منهم بِشرَه » ، هو طلاقة الوجه وبشاشته .

وقوله : « لكل حال عنده عَتادٌ » ، بالعين المهملة ، والتاء فوق ، والدال المهملة ، أي : ما يصلح لكل ما يقع من الأمور ، قاله في « النهاية » .

وقوله : « فصار لهم أباً » ، أي : مثل الأب في الشفقة والحنوّ ووجوب تعظيمه عليهم .

وقوله : « ولا تُؤبَنُ فيه الحُرَمُ » ، بالباء الموحدة ، أي : لا يذْكرنَ بقبيح ، كان يُصانُ مجلسه عن رَفث القول ، يقال : أَبَنتُ الرجل أَبِنُهُ وأَبُنُهُ : إذا رميته بخلة سوء ، فهو مأبون ، مأخوذ من الأَبَن وهي العُقد تكون في القِسِيِّ تُفسدها وتعابُ بها .

وقوله : « ولا تُنثى فَلتاتُه » ، أي : لم يكن في مجلسه فلتات فتحفظ وتحكى ، والفلتات جمع فلتة ، والفلتات : الزلات .

وقوله : « ليس بفظّ ولا غَليظ » رجل فظ ، أي : سيء الخلق .

وقوله : « ولا سخَّاب » بالسين المهملة والخاء المعجمة : هو الصياح واضطراب الأصوات للخصام .

وقوله : « ولا فحاش » ، الفحش : كل سوء جاوز الحد .
والعيَّاب بالعين والياء المثناة تحت : الذي يذكر عيوب الناس ، وفعَّال هاهنا ليس للمبالغة ، بل للنسب ، كقوله : وليس بذي سيف وليس بنبَّال .

وقوله : « ولا يعيره » ، أي : لا يذكر له ما يلحقه من ذكره عار ، والعار : العيب والسُّبَّة . قال الجوهري : يقال : عيَّرهُ كذا من التَّعيير ، والعامة تقول : عيَّره بكذا . قال النابغة .

وعيَّـــرتـني بنـــو ذُبيـــانَ رَهبتُـــهُ
وهـل عليَّ بـأن أخشـاكَ من عارِ

وقوله : « كأنما على رؤوسهم الطير » وصفهم بالسكون والوقار ، أنهم لم يكن فيهم طيش ولا خِفَّةٌ ، لأن الطير لا تكاد تقع إلا على شيء ساكن .

وقوله : « ولا يطلب الثناء إلا من مكاف » ، قيل : معناه : مقتصد في ثنائه ومدحه ، وقيل : إلا من مسلم ، وقيل : إلا من مكافٍ على يد سبقت من النبي ﷺ إليه .

وقوله : « ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز » ، أي : يميل عن الحق والصواب ، فحينئذ يقطعه بردعه عنه ، أو مفارقة المجلس .

وقوله : في حديث علي : « ليس بالطويل المُمَّغِط » بتشديد الميم وفتحها وكسر الغين المعجمة وبالطاء المهملة ، أي : المتناهي الطول ، وأصله منمغط ، والنون للمطاوعة ، فقلبت ميماً وأدغمت في الميم ، ويقال بالعين المهملة أيضاً .

وقوله : « لم يكن بالمُطهَّم ولا بالمكلثم » المطهَّم : المنتفخ الوجه ، وقيل : الفاحش ، وقيل : النحيف الجسم ، وهو من الأضداد ، والمكلثم : وهو من الوجوه : القصير الخنك ، الداني الجبهة ، المستدير مع خفة اللحم ، أراد : أنه كان أسِيلَ الوجه ولم يكن مستديراً .

وقوله : « أهدب الأشفار » ، وفي رواية : « هدب الأشفار » ، أي: طويل شعر الأجفان ، والشُّفر بضم الشين المعجمة : حرف جَفنِ العين الذي ينبت عليه الشعر .

وقوله : « جليل المشاش » ، أي : عظيم رؤوس العظام اللَّيِّنة التي يمكن مضغها .

والكَتَد بفتح المثناة فوق وكسرها : مجتمع الكتفين وهو الكاهل .

وقوله : « أجرد ذو مسرُبة » ، الأجرد : الذي ليس على بدنه شعر ، ولم يكن كذلك ، وإنما أراد أن الشعر كان في أماكن من بدنه كالمسربة والساعدين والساقين ، فإن ضد الأجرد الأشعر ، وهو الذي على جميع بدنه شعر .

وقوله : « شَثن الكفَّينِ » ، أي : يميلان إلى الغلظ ، وقد تقدم ذكره .

وقوله : « وأصدق الناس لهجة » ، أي : لساناً ، واللهجة : اللسان .

وقوله : « وألينهم عريكة » أي : طبيعة ، والعريكة : الطبيعة ، يقال : فلان لين العريكة : إذا كان سلساً مطاوعاً منقاداً ، قليل الخلاف والنفور .

وقوله : « من رآه بديهة » ، أي : مفاجأة وبغتة ، يعني : من لقيه قبل الاختلاط به هابه لوقاره وسكونه ، فإذا جالسه وخالطه بَانَ له حسن خلقه .

قوله : « في حديث مقاتل لعيسى عليه السلام : يا ابن الطاهر البكر البتول » تهييج له على امتثال ما يؤمر به ، والقيام به ، فإن الابتداء في الخطاب بمثل هذه الصفات الطاهرة المنعم بها عليه توجب ذلك ، والبتول من النساء : العذراء المنقطعة عن الأزواج ، ويقال : المنقطعة إلى الله تعالى عن الدنيا ، والطاهر بغير هاءٍ : من الحيض ، وبالهاء : من النجاسة والعيوب ، فهي من الحيض طاهر ، ومن النجاسة والعيوب طاهرة .

وقوله : « أنا خلقتك » ، أي : لا غيري ، والآية : العبرة والبرهان ، لأن تولّده على خلاف المعتاد ، برهان على برهان ، وكان خلقه على هذا المثال مقابلاً لخلق حواء ، لأن حواء خلقت من آدم من غير أم ، وعيسى خلق من أم من غير أب ، وآدم خلق من غير أب وغير أم ، وسائر الناس خلقوا من أم وأب ، فتمت بخلق عيسى عليه السلام القسمة العقلية .

وقوله : « فإياي فاعبد » ، أي : لا تعبد معبوداً سواي .

وقوله : « بلغ من بين يديك » ، أي : بني إسرائيل ، لأنه بعث إليهم .

وقوله : « صدقوا النبي الأمي صاحب الجمل » ، أي العربي ، لأن الجمال أكثر مال العرب ، فلذلك خص بالذكر .

والهراوة : القضيب ، كان ﷺ يمسك العصا بيده ويصلِّي إليها ، وتحمل بين يديه ، فنسب إليها .

وقوله : « الصلت الجبين » ، أي : الواسع الجبين ، وقيل : الأملس ، وقيل : البارز .

و«الأنجل العينين» : أي: واسعهما ، والنجل بالتحريك : سعة شق العين .

والتراقي : جمع ترقوة ، وهي العظام المكتنفة لثغرة النحر من جانبيه ، وهما ترقوتان .

وقوله : « بيت من قصب » ، أي : لؤلؤ مجوف واسع ، كالقصر المنيف .

والصخب : الصياح ، مثل السخب ، تبدل الصاد سيناً .

والنصب : التعب .

وقوله : «يكفله في آخر الزمان » ، أي : في آخر زمان احتياجه إلى من يكفله بما يحتاج إليه من المؤن قبل نبوته ، فإذا نبئ دخل في حكم حفظ الله تعالى ورعايته ، وجعل رزقه تحت ظل رمحه .

وقوله : « كلامه القرآن » ، أي : كتابه الذي يأتي به .

وقوله : « من تسنيم » علم للعين بعينها ، سميت بذلك ، لأنها أرفع شراب أهل الجنة .

قوله : في حديث وهب بن منبه : « أوحى الله إلى شعيا » هو شعيا صاحب صديقة الملك ، آخر من ملك من ولد داود ، كان الملك في داود وبينه إلى آخر أيام صديقة أربعمائة سنة وثلاثاً وخمسين سنة ، وشعيا : هو الذي بشر بعيسى ومحمَّد ﷺ ، ويقال : إن بني إسرائيل قتلوا شعيا بعد موت صديقة ، فسلَّط الله عليهم عدوهم فشرَّدهم وأفناهم قال ابن إسحاق: نشروه بالمنشار ، وأقام الشام خراباً ليس فيه غير السامرة سبعين سنة ، والملك لأهل بابل .

وقوله : « إني قضيت على نفسي » هذا الأسلوب أوقع عند السامع ، فلذلك خوطبوا به ، لأنه أدعى لطلب الجواب وسماعه بإقبال القلب .

وقوله : « إني قضيت على نفسي أمراً حتماً » إشارة إلى ما كان مكتوباً في الزبور (من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) قال بعض المفسرين : هو وراثة أمة محمد ﷺ للأرض المقدسة ، أي : الأرض المقدسة يرثها أمة محمد ﷺ ، والزبور : زبور داود ، والذكر : التوراة ، وقيل : اسم جنس لما أنزل على الأنبياء من الكتب ، والذكر : اللوح المحفوظ ، ولما علم الله تعالى من بني إسرائيل اللجاج والحجاج ، صدر ذلك بذكر أفعاله الجارية على غير قياس ، ولا يهتدى إلى وجه الحكمة فيها ، ليوطنوا أنفسهم على قطع القول بأن النبوة لا تكون إلا في بني إسرائيل وراثة ، ويعلموا أن الله تعالى يحكم ما يريد .

وقوله : « وأنا الله إلههم يدعونني فلا أستجيب لهم » وجه الجمع بينه وبين قوله تعالى : ﴿ أمن يجيب المضطر إذا دعاه ﴾ أن القضاء قسمان : مطلق ، ومعلق ، فالمطلق وهو المبرم لا بد من وقوعه ، وفائدة الأمر بالدعاء فيه تضعيف الثواب والأجر عليه ، والمعلق موقوف على نحو الدعاء ، وصلة الرحم ، والصدقة . ولما كان لكل منهما مغيباً عن الخلق ، وجب التوجه والدعاء لكل بلاء ، فيصادف الإجابة والدفع في المعلق ، وتضعيف الثواب في المطلق . وفي جعل هذه الأشياء

المذكورة في أضدادها دليل قاطع على قدرة الله تعالى واختياره واستقلاله .

وقوله : « والملك والحكمة في الرعاء » أي : النبوة كما فعل مع داود عليه السلام ، فإنه لما أمر طالوت بطلبه وجد يرعى غنماً ، فأخذ من الرعاية ، وأعطي الملك والنبوة ، وبقي في عقبه كما قدمنا ذكره ، اجتمعت بنو إسرائيل على داود ، ولم تجتمع على ملك قبله .

وقوله : « والنبوة في الأجزاء » أي : كما فعل مع موسى عليه السلام ، فإن النبوة فاجأته ، وقد كان أجيراً لشعيب عليهما السلام .

وقوله : « والعز في الأذلاء » أي : كما فعل معهم بعد ذلهم مع فرعون وعليهم له بعد استرقاقه لهم ، والعز بغير هاءٍ : الغلبة . قال :

قطاة عزَّها شرك فبانت
تجاذبه وقد علق الجناح

ومنه قوله تعالى : ﴿ وعزَّني في الخطاب ﴾ وكذلك :

قوله : « والقوة في الضعفاء » ، فإنهم كانوا بالنسبة إلى قوة فرعون وسلطانه في غاية الضعف ، وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿ وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب .. ﴾ الآية [البقرة : ٤٩] ، فإن مثل هذا التحكم إنما هو لضعفهم ، وكذلك قوله : « والعزة في الأقلاء » فإن موسى عليه السلام كان وحده ليس معه سوى أخيه هارون عليهما السلام ، وفرعون معه جنوده وأعوانه وسحرته ، فأعز الله تعالى موسى عليه السلام ، وخذل فرعون .

وقوله : « والعلم في الجهلة ، والحكمة في الأميين » ، إشارة إلى العرب فإن العرب كانوا في غاية البعد عن علم النبوة ، وهم **الأميُّون** نسبة إلى الأم لبقائهم على الجهالة الأولى .

وقوله : « فإني باعث لذلك نبياً أمياً » ، إشارة إلى ما تقدم من فعل هذه الأفعال التي كان لهم مثلها ، وأن ذلك يتممه ببعثه نبي أمي هو محمد ﷺ .

وقوله : « أعمى من عميان » ، أي : لعدم إلفه وإلفهم بالحكمة والكتاب ، فهم بالنسبة إلى ذلك كالغريب ، والغريب أعمى .

وقوله : « ضالاً من ضالين » أي : عن علم الشرائع المتعلقة بالسمعيات .

وقوله : « أنا الله رب الأرباب ... إلى آخره » ، إشارة إلى جواب سؤال مقدر ، كأن قائلاً سأل لما بهذه الأحكام المتباينة : ما باله يفعل هكذا ؟ فوقع الجواب بما ترى ، ومعناه : أنه المنشئ والخالق والمالك لكل الموجودات ، ومن شأن المالك المطلق ، التصرف في ملكه كما يشاء ، فمن اعترض عليه فهو أحمق .

وقوله : « رفعت السماء فمددتها » أي : جعل ذهابها في جهة العلو مديداً .

وقوله : « ووضعت الأرض فدحيتها » ، أي : بسطتها ومهدتها للسكنى ، وهو من ذوات الواو ، فجاء بالياء للازدواج .

وقوله : « ونصبت الجبال فأرسيتها » أي : ثبتها ، من رسا الشيء : إذا ثبت .

وقوله : « وجعلت النسيم والأرواح في جوف أهلها » أي : أحيا الأبدان بها ، وهي جمع نسمة ، وهي النفس والروح ؛ وكل دابة فيها روح ، فهي نسمة ، والأرواح جمع روح ، وهي ما به يصير الحيوان حياً ، لايعلم حقيقتها إلا الله تعالى .

وقوله : « أدعو عبدي للصدق » : أي : هذا النبي الأمي أدعوه لأجل تحقيق الصدق فيما وعدت به من إتمام هذا الأمر الموعود به .

وقوله : « وتابعته بالحق » ، أي : بدين الحق .

وقوله : « وأؤيده على البلاغ » أي : أقويه .

وقوله : « وأنزل عليه روحي » أي : جبريل عليه السلام ، مثل : ﴿ فأرسلنا إليها روحنا ﴾ [مريم : ١٧] والروح من أسماء جبريل مطلقاً ومضافاً .

وقوله : « يمر على القضيب الزعزاع » أي : المتزعزع ، أي : المتحرك فيسكن تحته ، والزعزعة : تحريك الشيء .

وقوله : « يحكم بالقسط » ، أي : بالعدل .

وقوله : « ويجوز حكمه خلف البحار » أي : يجاوزها لانتشاره وظهوره وغلبته .

وقوله : « أبعثه شاهداً » ، حال مقدرة ، أي : على من بعث إليهم ، وهم أمة الدعوة .

وقوله : « وأختن به قلوباً غلفاً » ، أي : أطهرها وأزيل ما غلب عليها من الشبه والشرك ، فغطاها تغطية الغلفة الحشفة حتى تصير نيرة قابلة للحق .

وقوله : « وأخرج به العميان من الظلمات إلى النور » ، أي : أخرج الكفار من الكفر الذي هو كالظلمة ، إلى الإيمان الذي هو كالنور .

وقوله : « أفك به الأسارى من الرباط » ، أي : أسارى الشهوات من رباط شهواتهم ، أو أسارى الكفر من رباط ضلالتهم ، أو أسارى المؤمنين من رباط الكفار .

وقوله : « وأهب له » ، يقال : وهبه ، ووهب منه ، ووهب له .

وقوله : « وأجعل السكينة لباسه » أي : الوقار والسكون .

وقوله : « والبر شعاره » ، أي : الإحسان علامته .

وقوله : « والتقوى ضميره » ، أي : ما عقد عليه نيته وقصده وأعماله بأسرها خالصة .

وقوله : « والحكمة معقودة » ، أي : العلم والعمل معقودان عنده فلا ينفك أحدهما عن الآخر .

وقوله : « والصدق والوفاء طبيعته » ، أي : طبع عليهما وجبل .

وقوله : « والمعروف خلقه » ، أي : النصفة وحسن الصحبة ، والمعروف ، اسم جامع لكل ما عرف من طاعة وقربة وإحسان .

وقوله : « والحق شريعته » ، الحق خلاف الباطل ، أي : يدور مع الحق فلا يرد غيره ، والشريعة : ما شرعه الله تعالى لعباده ، أي : سنه وافترضه عليهم من شريعة الماء مورد الإبل على الماء الجاري .

وقوله : « وأكثر به بعد القلة » ، كما جرى ، فقال تعالى : ﴿ واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثَّركم﴾ [الأعراف : ٨٦] .

وقوله : « وأغني به بعد العيلة » ، أي : بعد الفقر كما وقع ، فصار رعاء الشاة يتطاولون في البنيان .

وقوله : « وأجمع به بعد الفرقة » ، أي : كما وقع ، وقال تعالى : ﴿ وألف بين قلوبهم ﴾ الآية [الأنفال : ٦٣] .

وقوله : « وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس » أي : أظهرت .

وقوله : « يأمرون بالمعروف ... إلى آخره » ، بيان لوجه خيرتهم ، وأنهم باجتماع هذه الخصال فيهم صاروا خير الناس ، لأنها لم تجتمع في أمة سواهم ، بل إن كان فيهم البعض أعوزهم البعض .

وقوله : « ألهمهم التوحيد » أي : قذف بالإسلام في قلوبهم .

وقوله : « ومنقلبهم ومثواهم » ، أي : منقلبهم في معاشهم ومتاجرهم ، ومثواهم حيث يستقرون ويسكنون .

وقوله : « يطهرون الوجوه والأطراف » ، يعني : الوضوء للصلاة ، وأنه من خصائصهم .

وقوله : « ويشدون الأزر في الأنصاف » أي : يسترون العورة ، والأنصاف : مابين السرة والركبة .

وقوله : « على الأشراف » ، جمع شرف ، وهو الموضع المرتفع .

وقوله : « قربانهم دماؤهم » أي : يخرج أحدهم إلى الجهاد طالباً للشهادة يتقرب بنفسه إلى الله تعالى ، لا كغيرهم كان يذبح البقرة والشاة يتقرب بها .

وقوله : « أناجيلهم صدورهم » ، أي : يحفظون الكتاب المجيد ويتلونه حفظاً ، والأناجيل جمع إنجيل ، وهو اسم كتاب الله المنزل على عيسى عليه السلام .

وقوله : « رهبان بالليل » أي : يتخلون فيه للعبادة والصلاة ، وهو جمع راهب ، وقد يقع الرهبان على الواحد ، ويجمع على رهابين ، وأصل الرهبة : الخوف .

وقوله : « ليوث بالنهار » ، أي : شجعان ، فجمعوا بين العبادة والجهاد ، لا كرها بين النصارى ، إن عبد الله تعالى أحدهم ، لم يجاهد له عدواً أبداً ، وإن جاهد ، فلا دفع عنده إذ لاقوة له .

صفة شعره ﷺ

قوله : عن قتادة ، هو أبو الخطاب ، قتادة بن دعامة ، من بني سدوس بن شيبان السدوسي البصري الأعمى ، يعد في الطبقة الثالثة من تابعي البصرة ، ولد سنة ستين ، وتوفي سنة سبع عشرة ومائة . ودعامة بكسر الدال المهملة وتخفيف العين المهملة ، وسدوس بفتح السين المهملة الأولى .

روى قتادة عن أنس ، قال النووي في « شرح صحيح مسلم » : هو مدلس ، فإن قال : عن أنس ، ينبغي أن يتوقف فيه حتى يقول : قال أنس ويصرح بسماعه من أنس ، ولهذا وقع خبط في روايته عن أنس ابتداء قراءة النبي ﷺ بالحمد لله رب العالمين ، وكذلك رواية القنوت قبل الركوع ، وقد روى بعده أيضاً ، فينبغي أن يتثبت فيما يكون من هذا القبيل .

وقوله : « شعر بين شعرين » ، الروايات في صفة الشعر كثيرة ، واختلافها بحسب حاله ، فإن كان يقصره تارة ، ويوفره أخرى ، ويحلقه مرة ، ويفرقه أخرى ، ويسدله ، فلذلك جاءت الروايات كما ترى .

قوله : « كان أهل الكتاب يسدلون » ، أي : يسبلون شعرهم .

قوله : « صدعت الفرق بين يافوخه » ، بالخاء المعجمة ، اليافوخ : هو الموضع الذي يتحرك من رأس الطفل ، يفعول ، وجمعه يآفيخ ، الياء زائدة ، وفرق الشعر : جعله فرقتين .

قوله : عن أم هانئ ، هي شقيقة علي بن أبي طالب ، اسمها هند ، وقيل : فاختة ، أسلمت عام الفتح ، والغدائر : بالغين المعجمة والدال المهملة : واحدتها غديرة .

قوله : « فلا يريدون أن يقع شعرة إلا في يد رجل » . أي : لم يدعوا شيئاً منه يقع إلى الأرض طلباً لبركته وتعظيماً له .

وقوله : عن محمد بن سيرين قال : قلت لعبيدة ، هو أبو بكر محمد بن سيرين مولى أنس بن مالك ، من سبي عين التمر ، يقال : ولد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان ، كان فقيهاً زاهداً من أعظم التابعين ، المشهور بفنون العلم ، وفاته سنة عشر ومائة وهو ابن سبع وسبعين سنة ، وعبيدة بفتح العين المهملة ، وكسر الباء الموحدة ، وسكون المثناة تحت بعدها ، هو : أبو مسلم ، ويقال : أبو عمرو :

عبيدة بن عمرو ، وقيل : عبيدة بن قيس بن عمرو السلماني من بني سلمان بن يشكر ، بن ناجية ، بطن من مراد ، أحد المخضرمين ، جاهلي إسلامي ، يقال : أسلم قبل وفاة النبي ﷺ لسنتين ولم يلقه ، وسمع أكابر الصحابة ، واشتهر بصحبة علي وابن مسعود ، وكان أعور ، روى عنه إبراهيم النخعي ، وابن سيرين ، وفاته سنة اثنتين أو ثلاث وسبعين .

السلماني : بفتح السين المهملة وسكون اللام ، وناجية : بالنون والجيم و المثناة تحت .

الوجه

قوله : « إذا مشى تَكفَّأ » وفي رواية : « تَكفَّا تكفِّياً » أي : تمايل إلى قدام ، هكذا روي غير مهموز ، والأصل الهمز ، وبعضهم يرويه مهموزاً ، لأن مصدر تفعل من الصحيح تفعل ، كتقدم تقدماً ، وتكفَّا تكفِّياً ، والهمزة حرف صحيح ، فأما إذا اعتل ، انكسرت عين المصدر ، ومنه تخفَّى تخفياً ، وتسمى تسمياً ، فإذا خففت الهمزة التحق بالمعتل وصار تكفِّياً بالكسر .

وسعيد الجريري : بضم الجيم ، هو أبو مسعود من بني جرير بن عباد بطن من بكر بن وائل البصري تابعي ، وفاته سنة أربع وأربعين ومائة ،وأبو الطفيل،بضم الطاء المهملة : عامر بن واثلة ـــ بالمثلثة ـــ الليثي الصحابي : مولده عام أحد ، نزل الكوفة .

الفم

قوله : « أشكل العين » ، أي : في بياضها شيء من الحمرة ، وهو محمود محبوب ، يقال : ماء أشكل : إذا خالطه الدم ، وقد خطَّؤوا سِماكاً في تفسيره الشكلة بسعة شق العين ، وهو سِماك بكسر السين المهملة وتخفيف الميم وآخره

كاف ، ابن حرب ، أوس بن خالد بن نزار بن معاوية بن حارثة بن ربيعة بن عامر ابن ذهل بن ثعلبة الذهلي البكري الكوفي ، وهو أخو محمد وإبراهيم ابني حرب ، تابعي مشهور ، أدرك ثمانين صحابياً ، ذهب بصره فدعا الله تعالى فرده عليه .

و«منهوس العقبين» ، بالسين المعجمة والمهملة ، وأصل النهس : أخذ اللحم بأطراف الأسنان ، وبالمعجمة : أخذه بالأضراس .

الكلام

قوله : « ترسل أو ترسيل » ، يقال : ترسل الرجل في كلامه ومشيه : إذا لم يعجل ، والترسل والترسيل سواء .

قوله : « ولم يكن يرجّع » التَّرجيع : ترديد القراءة ، وقيل : هو تقارب ضروب الحركات في الصوت .

وقوله : كان يمد بعض المد ، هكذا حكي ، أي : دون غاية المد ، وروى عن عبد الله بن مغفل ترجيعه بمد الصوت في القراءة نحو آآ آآ آآ ، وأجيب بأن هذه القراءة التي رواها كانت يوم الفتح وهو راكب على ناقته فحدث الترجيع في صوته من تحريك الناقة .

خاتم النبوة

قوله : « عند ناغِضِ كتفيه » ، بالنون والغين والضاد المعجمتين ، ويروى في ناغض كتفه الأيسر ، ويروى في نفض كتفيه، النغضة والنغض والتناغض : أعلى الكتف ، وقيل : هو العظم الرقيق الذي على طرفه .

وقوله: « جمعاً » وفي رواية : « كأنه جمع » ، يريد جمع الكف ، وهو أن يجمع الأصابع ويضمها ، يقال : ضربه بجمع كفه بضم الجيم .

وقوله: « عليه خيلان » جمع خال ، وهو الشامة في الجسد .

وقوله:« كأمثال الثَّآليل » ، بالمثلثة جمع ثُؤلول ، وهو هذه الحبة التي تظهر في الجلد كالحمصة .

قوله : « مثل زرِّ الحجلة » ، وهو واحد الأزرار التي يشد بها الكللُ والسُّتور على ما يكون في حَجَلةِ العروس ، وقيل : هو بتقديم الراء على الزاي ، ويريد بالحجلة : القبجة ، مأخوذٌ من أرَزَّت الجرادة : إذا كبست ذنبها في الأرض فباضت ، ويشهد له قوله في الحديث السابق : مثل بيضة الحمامة .

المشي

قوله : « كأن الشمس تجري في وجهه » ، قال الطيبي : شبه جريان الشمس في فلكها بجريان الحسن في وجهه ، معنى قول الشاعر :

يَزيدُك وجهُه حسناً = إذا ما زدْتَّه نظراً

قال : وفيه أيضاً عكس التشبيه للمبالغة ويجوز أن يقدر متعلق الخير الاستقرار ، فيكون من باب تناسي التشبيه ، فجُعِلَ وجهه مقراً ومكاناً لها ، ومن باب تناسي التشبيه قول الشاعر :

هي الشمس منزلها في السماء = فعَزِّ الفؤاد عزاءً جميلاً .

العرف : هو بفتح العين المهملة وسكون الراء : الريح ، ويريد به الريح الطيبة .

ذكر الأخلاق

هي جمع خلق ، والخلق بضم اللام وسكونها : الدين ، والطبع ، والسجية . قال في « النهاية » وحقيقته أنه لصورة الإنسان الباطنة ، وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها ، بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها المختصة . ولهما أوصاف حسنة وقبيحة ، والثواب والعقاب مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة ، ولهذا تكررت الأحاديث في مدح حسن الخلق في غير موضع . انتهى كلامه .

ونوضحه بتعريف الخلق ، وبيان ما ذكره ، من أنه : صفة للنفس كما قاله العلماء في علم الأخلاق ، فنقول : الخلق : ملكة تصدر عنها الأفعال بسهولة من غير روية وفكر ، والملكة : كيفية بالنفس ، سريعة الزوال ، والنفس الإنسانية لها ثلاثة قوى . القوة العقلية ، والقوة الغضبية ، والقوة الشهوانية ، وله فيها تصرف يستولي بعضها على بعض بسببه ، فهيئة استيلاء القوة العقلية على القوتين تسمى فضيلة ، وهيئة استيلائهما عليها تسمى رذيلة ، وإذا ثبتت هذه الهيئة ، سميت خلقاً ، وإذا عرضت ثم زالت سميت حالاً ، فالفضيلة : حالة للنفس مشتملة على كمالها الخاص بها ، والرذيلة : حالة للنفس مشتملة على نقصانها الخاص بها ، والفضيلة وسط بين طرفي الإفراط والتفريط ، وكل من الطرفين يسمى رذيلة ، وكل من قسمي الفضائل والرذائل ينقسم إلى أصول ولوازم ، فأصول الفضائل أربعة : الحكمة ، والشجاعة ، والعفة ، والعدالة ، وأصول الرذائل ثمانية : الخبث ، والبله ، والتهور ، والجبن ، والشره ، والجمود ، والظلم ، والانظلام .

فالحكمة : وسط بين الخبث والبله ، والشجاعة وسط بين التهور والجبن ، والعفة : وسط بين الشره والجمود ، والعدالة : وسط بين الظلم والانظلام . ولوازم الفضائل تظهر بذكر تفصيلها ، لوازم الحكمة : اللب وثقابة الرأي . ولوازم الشجاعة : كبر النفس ، والحلم ، والكرم ، والرحمة . ولوازم العفة : الحياء ، والسخاء ، والحرية ، والخيرية . ولوازم العدالة : هي جملة اللوازم . ولوازم الرذائل : مقابلات ، فلوازم الخبث والبله . الدهاء والجربزة[1] والغمارة والحمق ، ولوازم التهور والجبن : الكبر ، وصغر النفس ، والترفع ، والتذلل ، والبذخ ، والنذالة ، والعجب ، والقساوة . ولوازم الشره والجمود : الوقاحة ، والتخبث ، والتبذير ،

(١) رجل جربز بالضم ، بين الجربزة بالفتح ، أي : خب . وهو القربز أيضاً وهما معربان . قاله الجوهري .

والتقتير ، والبخل ، والحسد ، والشماتة ، والشرارة . ولوازم الظلم والانظلام هي جملة اللوازم ، وهذا ذكر تعريف الكل من الأخلاق : الفضائل والرذائل مفصلاً .

الحكمة : تطلق باشتراك الاسم على ما يذكر في علم الأخلاق : وعلى الحكمة التي هي عبارة عن العلم الخاص ، فالحكمة التي يطلب تعريفها في علم الأخلاق : عبارة عن كمال النفس باقتناء الملكات الفاضلة بحيث تصير أفعالها مستمرة على النظام .

الشجاعة : مطاوعة الرأي بالسواء في الإقدام والإحجام .

العفة : قلة الشوق إلى اللذات الحسية .

العدالة : اجتماع الفضائل في النفس .

اللب : فضيلة يكون الإنسان بها حسن الرأي في الأمور .

ثقابة الرأي : فضيلة يقتدر بها الإنسان على التوصل إلى الأمور العظيمة مع استحقاره لها .

الحلم : فضيلة يكون الإنسان بها غير منفعل من المغضبات .

الكرم : فضيلة يلتذ الإنسان بها بما يبذله من الخير للغير .

الرحمة : فضيلة يتألم الإنسان بها لشر ينال الغير .

الحياء : فضيلة يكون الإنسان [بها بعيداً][1] عن الأمور المذمومة .

السخاء : فضيلة يكون بها الإنسان فعالاً للجميل في المال .

(١) لفظة «بها بعيداً» ليست موجودة في الأصل ، ولعل الصواب ما أثبتناه إذ لا يتم المعنى بدونها .

الحرية : فضيلة يلتذ ويتألم بها الإنسان لخير وشر ينال الغير ، كما يلتذ ويتألم في حق نفسه .

الخبث : استقصاء الرؤية في استنباط مايظن أنه خير وليس بخير .

البله : مقابله .

التهور : مطاوعة النفس في الإقدام أشد من مطاوعتها في الإحجام .

الجبن : مقابله .

الشره : شده الشوق إلى اللذات الحسية .

الجمود : مقابله .

الظلم : باعتبار الأخلاق : اجتماع الرذائل في النفس المصونة بالخير بلا استحقاق .

الانظلام : خلو النفس عن الفضائل لاحتمال الضرر من الغير بلا استحقاق .

ولوازم الفضائل مقابلات حدود لوازم الرذائل ، فلا حاجة إلى التطويل بذكرها ، وحيث ظهر لك بيان حقائق الأخلاق ، وعرفنا لكل منها ، فاعلم أن مرادهم بقوله في أوصاف رسول الله ﷺ : الأخلاق هي الفضائل ، وهي بينة من أحاديث الكتاب ، إذا تأملتها وقعت على تفصيل جميع الفضائل منها ، وأنها كانت حاصلة لرسول الله ﷺ بأسرها .

قوله : « ما فعل النغير » تصغير نغر بضم النون وفتح الغين المعجمة وبالراء : هو طائر يشبه العصفور ، أحمر المنقار ، ويجمع على نغران .

قوله : « كان فزع بالمدينة » ، أي : استغاثوا ، يقال : فزعت إليه ، الفزع في الأصل : الخوف ، ثم وضع موضع الإغاثة والنصر .

قوله : « ولقد فزع أهل المدينة » ، أي : استغاثوا . يقال : فزعت إليه فأفزعني ، أي : استغثته فأغاثني .

وقوله: « لن تراعوا » من الرّوْع ، وهو الخوف والفزع .

وقوله: « وجدناه بحراً » ، أي : واسع الجري ، وسمي البحر بحراً لسعته .

وقوله: « وكان فيه قطاف » بكسر القاف : هو تقارب الخطو في سرعة من القطف وهو القطع ، وقد قطف يقطف قطفاً وقطافاً .

قوله : « كنا إذا احمر البأس » ، أي : إذا اشتد الحرب استقبلنا العدو به ، وجعلناه لنا وقاية . وقيل : أراد : إذا اضطرمت نار الحرب وتسعرت ، كما يقال بين القوم : اضطرمت ناره تشبيهاً بحمرة .

قوله : « أرجح الناس عقلاً » ، في تعريف العقل خلاف وأقوال ، أحسنها تعريف الحارث المحاسبي ، قال : غريزة يتبعها العلم بالضروريات عند سلامة الآلات .

قوله : « بُردٌ نجراني » ، بالنون والجيم والراء ، نسبة إلى نجران : موضع معروف بين الحجاز والشام ، والبرد : نوع من الثياب معروف .

قوله : « أشد حياء من العذراء في خدرها » ، العذراء : الجارية التي لم يمسها الرجل وهي البكر ، وقد سبق ذكره ، والخدر : ناحية في البيت يترك عليها ستر فتكون فيه الجارية البكر .

تنبيه

المشبهون برسول الله ﷺ : جعفر بن أبي طالب ، وجاء عن النبي ﷺ أنه قال لجعفر : « أشبهت خلقي وخلقي » ، والحسن بن علي بن أبي طالب ، وقثم بن

العباس بن عبد المطَّلب الشهيد بسمرقند ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، ومسلم بن معاوية بن أبي لهب ، وكابس بن ربيعة بن عدي ، وخُبِّرَ معاوية أن كابس بن ربيعة بالبصرة يشبه بالنبي ﷺ ، فكتب إلى عبد الله بن عامر ابن كريز ليرفده إليه ، فلما رآه من باب الدار ، قام إليه عن سريره فتلقاه ، وقبل ما بين عينيه ، ووصله وأقطعه المرْغَاب ، ذكره الثعالبي في كتابه المسمى بـ « اللطائف » .

opeikandl.com